Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.25, Issue: 2018

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور– باكستان.
العدد الخامس والعشرون،2018م.

مجالس المفاخرات والموشّحات والأزجال وأثرها في الأدب العربي الأموي الأندلسي

غلام سكينة
قسم اللغة العربية، جامعة بهاء الدين زكريا ملتان
أ.د.الحافظ عبدالرحيم
رئيس قسم اللغة العربية، جامعة بهاء الدين زكريا ملتان

Abstract:

Councils of Mufakhrat, Mawashhat and Azjal
And its impact on Andalusian Arabic literature

The literary councils have played a vital role in the history of Arabs, for example Sooq Okaz, Sooq Mirbad and Sooq Zilmajannah. When the Arabs ruled over Spain, they got more influence regarding poetry because the environment of Spain was so pleasant. Nature has gifted Spain with beautiful plains, valleys, rivers, mountains, forests, trees, flowers, orchards and parks. It is loaded with noble beauty and sights that always fill one with emotions and feelings. Arabic literature has a great influence on the Andalusian poetry. Al Hakam bin Al Rabzi, Ibne Shoheed, Saeed bin Joodi and Abdul bin Malak bin Huzail in the period of Al Mansor bin Aamir worked on *"fakhar"* and got much fame. The Andalusian poets like Esa al Aldani, Abu Bakar Alkomait, Obaidah

al Qazaz, Ibne Zohr and Madghlees have worked greatly on *"mawashhat and al zajl"*. Different kinds of poetry at their councils regarding *"fakhar, mawashaat and al zajl"* are discussed herein as we have made it clear in our talk.

Key Words: literary councils, Arabs, Spain, environment, influenced, mawashhat

الأندلس هوالاسم الذي أطلقه المسلمون على شبه جزيرة أيبيريا عام 711م. بعد أن دخلها المسلمون بقيادة طارق بن زياد وضمّوها للخلافة الأموية واستمر وجود المسلمين فيها حتى سقوط مملكة غرناطة عام 1492 وحقّق المسلمون تقدّماً واسعاً في شمال أفريقيا، ووصلوا إلى المغرب الأقصى (يقابل ما يُعرف اليوم بالمملكة المغربية) المواجه لشبه جزيرة أيبيريا. وذلك في عهد الوليد بن عبد الملك (96-86هـ). ثم استُبدلَ القائد حسان بن النعمان، والي أفريقيا وفاتحها عام (85هـ) بموسى بن نصير الذي توجّه من مصر إلى القيروان مصطحباً أولاده الأربعة الذين كانت لهم أدوار مهمة في التوسعات.

شرعَ موسى بتثبيت الدين الإسلامي في البربر وقام بمعالجة نقاط الضعف التي واجهت المسلمين هناك، فقرّر العمل على تقوية البحرية الإسلامية، وجعل القيروان قاعدة حصينة في قلب أفريقيا، واعتمد سياسة معتدلة ومنفتحة تجاه البربر مما حوّل معظمهم إلى حلفاء له، بل دخلوا في الإسلام وأصبحوا فيما بعد عمادَ سقوط إسبانيا والبرتغال أوكما تسمى قديما الأندلس يد المسلمين بقيادة البطل البربري طارق بن زياد، واستكمل موسى التوسع في شمال أفريقيا وتأمين المنطقة درءاً لتمرّدٍ قد ينشأ ضد السيادة الإسلامية.

وفي إحدى الحملات التي قادها أبوالورد بنفسه، استولى المسلمون على طنجة ذات الموقع المهم بين القارتين الأوروبية والأفريقية عام (89هـ/ 708م)، وحوّلها موسى بن نصير إلى مركز عسكري لتموين الحملات باتجاه المناطق المجاورة. وفي هذه الحملة برز أبوالدنين،لكنّ مدينة سبتة عصت على تلك الفتوحات،

حيث استطاع حاكمها الوالي البيزنطي يوليان الصمود بوجه المسلمين. لكنه فيما بعد لعبَ دوراً أساسياً في تشجيعهم ومساعدتهم على عبور المضيق إلى الأندلس.

الفتح الإسلامي للأندلس

في عهد الدرنات بين عامى (92 - 93 هـ) في الخلافة الأموية وفي عام 711م أرسل موسى بن نصير القائد الشاب طارق بن زياد من طنجة مع جيش صغير من البربر والعرب يوم 30 أبريل711، عبر المضيق الذي سمي على اسمه، ثم استطاع الانتصار على القوط الغربيين وقتل ملكهم لذريق Roderic or) (Rodrigo في معركة جواداليتي في 19 يوليو.711 أومعركة وادى برباط في 28 رمضان 92 هجرى.

وظلت الأندلس بعد ذلك خاضعة للخلافة الأموية كإحدى الولايات الرئيسة، إلى أن سقطت الخلافة الأموية سنة (132هـ)، واتجه العباسيون إلى استئصال الأمويين. وتمكن عبد الرحمن بن معاوية –عبد الرحمن الداخل– أن يفلت من قبضة العباسيين، فهرب إلى أخواله في الشمال الإفريقي، وأقام عندهم فترة من الزمن، ثم فكر في دخول الأندلس ليبتعد عن العباسيين، فراسل الأمويين في الأندلس.

بحلول عام 718 استولى المسلمون على معظم أيبيريا عدا جيباً صغيراً في الركن الشمالي الغربي حيث أسس النبيل القوطي بيلايو مملكة أستورياس في العام نفسه 718. واستطاع بيلايوالدفاع عن مملكته في وجه المسلمين في معركة كوفادونجا عام 722. واستمر موسى ابن النصير في محاولاته لفتح الأندلس.

واصل المسلمون التوسع بعد السيطرة على معظم أيبيريا لينتقلوا شمالاً عبر جبال البرنييه حتى وصلوا وسط فرنسا وغرب سويسرا .هُزم الجيش الإسلامي في معركة بلاط الشهداء) بواتييه) عام 732 أمام قائد الفرنجة شارل مارتل .محاولة السيطرة على البرتغال: أرسل القائد موسى بن نصير إلى إبنه عبد العزيز ليستكمل الغزوات في غرب الأندلس حتى وصل إلى لشبونة.

حكام الأندلس الأمويين هم كالتالي:

- عبد الرحمن الداخل الملقب(صقر قريش) حتى عام 172 هجري
- هشام الأول بن عبد الرحمن من عام 172 إلى عام 180 هجري
- الحكم بن هشام – من عام 180 إلى عام 206 هجري
- عبد الرحمن الأوسط بن هشام – من عام 206 إلى عام 238 هجري
- محمد بن عبد الرحمن – من عام 238 إلى عام 273 هجري
- المنذر بن محمد – من عام 238 إلى عام 275 هجري
- عبد الله بن محمد – من عام 275 إلى عام 300 هجري
- عبد الرحمن الثالث الناصرمن عام 300 إلى عام 350 هجري
- الحكم بن عبد الرحمن – من عام 350 إلى عام 366 هجري
- هشام الثاني بن الحكم – من عام 366 إلى عام 399

الأندلس في القرن الخامس الهجري

بدأ عصر ملوك الطوائف بالأندلس عام (422هـ) عندما أعلن الوزير أبوالحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية بالأندلس، وكان هذا الإعلان بمثابة إشارة البدء لكل أمير من أمراء الأندلس ليتجه كل واحد منهم إلى بناء دويلة صغيرة على أملاكه ومقاطعاته، ويؤسس أسرة حاكمة من أهله وذويه، وبلغت هذه الأسر الحاكمة أكثر من عشرين أسرة أهمها:

- بنوعباد بإشبيلية (414هـ–484هـ)
- بنوجهور في قرطبة (422هـ–449هـ)
- بنوحمود بمالقة (407 هـ–449هـ)
- بنوزيري بغرناطة (403 هـ–483هـ)

- بنوهود بسرقسطة (410 هـ–536هـ)
- بنورزين بالسهلة (402 هـ–497هـ)
- بنوذي النون بطليطلة (400هـ–478هـ)
- بنوالأفطس في بطليوس (413هـ – 487هـ)
- بنوعامر في بلنسية (1085–1016م)

مفهوم المفاخرات:

الفخر من أغراض التي رافقته مثل مدح من قديم وقد ظل الشعرآء يتغنون به طوال العُصور الإسلامية مجسَّدين فيه دائما مثالتهم الخليفة الفردية من الوفاء والمروء ة والعزة والكرامة وغير ذلك من الشِّيم الرفيعة كما يتغنون عصباتهم القبيلة والقومية وبأسهم وشجاعتهم الحربيّة التي يسحقون بها أعدءهم وأوّل مايسوقه الرواة من أشعار الفخر في الأَنْدَلُسِ يضيفونه إلى الأسرة الأمويّة وحكامها منذالقرن الثاني الهجري.[1]وخاصة علٰى لسان الحكم الربضي الذي استطاع بحزمه ومضائه وجلده أن يقضى قضاء مبرها علٰى ثورة أهل الرَّبض الجنوبي بالقُرْطُبَةَ ممّا جعله ينشد مبتهجا بعد ذلك الوقعة:

رأيتُ صُدُوْعَ الأَرْضِ بِالسّيْفِ رَافِعاً وَقِدْ مَّا لأمتُ الْشَعْبَ مُذْكنْت يَافِعاً
فَسَائِلْ ثُغُوْرِيْهل بها اليوم ثُغْرةٌ أبْادِرها مُسْتَنْضِيَ السَّيْفِ دَارِعاً[2]

ومن الشعرآء الفخر سعيد بن سُلَيْمَانَ بن جَوْدِيْ السَّعْدِي (ت284هـ/ 897م).[3]

وقال عمر فروخ:

"كان فيه عشر خصال تغرد بها في زمانه لا يدفع عنها: الجودوشجاعة والفروسية والجمال والشعر والخطابة والشدة والطعن والضرب والرّماية".[4]

وله أشعار يحرض فها العرب ويفاخررأسه وشجاعة وقوله:

قَدْ طَلَبْنَا بِثَارِنَا فَقَتَلْنَا مِنْكُمْ كُلّ مَارِقَ وَعَنِيْدِ
قَدْ قَتَلْنَاكُمْ بِيحيٰى وَمَا إِنْ كَانَ حَكمُ الإِلَهَ بِا لْمَرْدُوْدِ.[5]

واتفق أنَّ كان للعرب عليهم بعد سبعةأيام وقعة لقى فيها سبعة عشرألفاً منهم حتفهم وصرخوا واستغاثوا بالأمير عبدالله في القُرْطُبَةَ،ومن أشهر أقوال العبلي في تلك الوقائع والحروب قصيدة حماسية استهلمها بقوله:

قَدْاِنْقَصَفَتْ قَنَاتهم وَذِلُّوْا وَزُعْزِعَ رُكنُ عِزّهمْ الأذِلُّ[6]

الشاعر الطُلَيْقُ حفيداً أخِيْ الْمُسْتَنْصَرْالمرْوَانِيْ المسجون في عهد المنصور بن أبي عامر شعر كثير يفتخر فيه بنفسه وبآبائه.[7]: ولمنصوربن أبي عامر (327-392)(938 - 1002):

رَمَيْتُ بِنَفْسِيْهولَ كلّ عَظِيْمَةِ وَخَاطِرْتُ وَالحرُّالْكرِيم يخَاطِرُ
رَفَعْنَا الْمَعَالى بِالْعَوَالِيْ بَسَالَةً وأوْرِثْنَاها فِي الْقَدِيْمِ مُعَافِرُ.[8]

وحكاية في الجهاد كثيرة، يقال إنّ له نيّفاً وخمسين غزوة في النصارىٰ، وقول ابن شهيْدِ:

بِالْعِلْمِ يفْخِرُ يَوْمَ الحَفْل حَامِلُهُ وبِالْعَفَافِ غَداةَ الجَمْعِ يَزْدَانُ
وَمَا الاَنَ قَنَايَتْ غَمْزُ حَادِثَةٍ ولَا اِسْتَخَفَّ بِحِلْمِيْ قَطُّ إِنْسَانُ مْضِيْ عَلٰى الهوْلِ قُدْماً لَاينهنهنِي وأثنِي لِسَفِيهيْ وهوغَضْبَانُ.[9]

ومضىٰ يقول إنّه لايرد علٰى حمق بحمق وإنّه يعتصم بالصبر وكظم الغيظ ولا يتملق ولا يفوه بغير الحق،وإنّه قد يبيت علٰى الطَّوَى حانيا الضلوع علٰى لظي المسغبة...

مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ طَالِعٌ لجَدَّعَلٰى مَاضَاعَ مِنْ ذِكْرِيَ النَّهبُ.[10]

أقوم على الأيام خير مقام وأوقد في الأعداء شر ضرام
وأنفق في كسب المحامد مهجتي ولوكان في الذكر الجميل حمامي
وأبلغ من دنياي نفسي سؤلها وأضرب في كل العلا بسهام[11]

كأن الفخر يفيض معينة بعدهم في نفوس الأندلسيين غير أنه بقيت من ذلك بقية من مثل قول على بن أضحى الهمداني الغرناطي:

نحن الأهلة في ظلام الحندس حيث احتلنا فهو صدر المجلس

إن يذهب الدهر الخؤون بعزنا ظلما فلم يذهب بعز الأنفس[12]

والبيتان يصوران قوة نفس عزيزة صلدة تزلق عنها توا محن الزمن دون أن تنال منها أي نيل ولابن خفاجة قصيدة يفتخر فيها بنفسه وبرفاق له في مسقط رأسه بجزيرة شقر يعيشون للبأس والنجدة والنضال وخوض الماء بخيلهم المحجلة إلى أعدائهم منزلين بهم صوائق الموت التي لا تبقى ولا تذر، فيها يقول:

ضاء كما سئل الحسام من الغمد وبأس كما طار الشرار من الزند

تساقوا وما غير النجيع سلافة تداولا غير الأسنة من ورد[13]

وليوسف الثالث سلطان غرناطة فخر كثير وسنخصه بكلمة،ولم نعرض فخر الأندلسين بأشعارهم، وهو عندهم كما عند المشارقة كثير، وحسبنا الأن أن نقف عند ثلاثه من شعرائهم فسحوا للفخر في أشعارهم وهم سعيد بن جودي وعبد الملك بن هذيل ويوسف الثالث.[14]

سعيد بن جودي السعدي:

هو سعيد بن جودي السعدي بن أسباط بن إدريس السعدي من هوازن من جند دمشق الداخلين إلى الأندلس في عهد الولاة.[15]

وكان شاعرا، أهم مساعد له في حركته لشجاعته وبأسه وفروسيته، مر بنا كيف استطاع سوار أن ياخذ ثأر زعيم العرب قبله في تلك المنازعة مع المولدين وأصحابهم[16]. يحي بن صقالة إذ قتل منهم فيما يقال سبعة آلاف، ونرى ابن جودي يرميهم حينئذ شواظ من شعره منشدا:

قد طلبنا بثأرنا فقتلنا منكم كل مارق وعنيد

قد قتلناكم بيحي وما إن كان حكم الإ له بالمردود

فاصطلوا حرها سيوف تتلظى على كم كالوقود

لم تزالوا تبغونها عوجا حتى وردتم للموت شر ورود[17]

عبد الملك بن هذيل:

هو أبو مروان عبد الملك بن هذيل كان أبوه هذيل بن خلف بن رزين من أكابر جند البربر،وفي أول الفتنة بالقرطبة سمت نفسه إلى اقتطاع كورة السهلة بين طليطلة وسرقسطة.[18]

ومن قوله مفاخرا:

شاوت آل رزين غير محتفل وهم على ما علمتم أفضل الأمم

قوم إذا سئلوا أغنووإن حربوا أفنوا إن سوبقوا جازوا مدى الكرم

يوسف الثالث حفيدا لغني الله، حكم غرناطة من سنة 810 إلى 820.[19] وترتيبه الثالث عشر بين أمرائها بني الأحمر النصريين، وله ديوان كبير[20]. ونشيد مخافرا:

ألست سليل الصيد من آل حمير وخير ملوك الأرض قوما ولا فخر[21]

وهو يفتخر بأنه سليل أصحاب الحول والطول من حمير، وهي مكارم يعز حصرهما. وأشهار في الفخر والحماسة أشعر ذات نسيج ضعيف [22].

مجالس الموشحات والأزجال

الموشحات:

الموشحات فن أنيق من فنون الشعر العربي اتخذ العرب قوالب بعينها في نطاق تعدد الأوزان الشعرية، وكان ظهوره في نطاق إطاره هذا بأرض الأندلس، وقد اتسعت الموشحات لاحتضان كل موضوعات الشعر وأغراضه بحيث أن النقاد القدامي حين حددوا فنون الشعر بسبعة حدود جعلوا الموشح واحدا من هذه الفنون التي حصرها الأبشيهي في الشعر القريض، والموشح والدوبيت، والزجل، والمواليا، والكان كان، والقوما.[23]

والموشحات جمع موشحة وهي مشتقة من الوشاح وقد جاء في لسان العرب:"الوشاح والإشاح على البدل كما يقال وكاف وإكاف والوشاح كله حلي

النساء كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر تتوشح المرأة به".[23] وأماتعريف الموشح فهوكلام منظوم على وزن مخصوص وهويتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات، ويقاله له التام وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات، ويقال له الأقرع، فالتام ما ابتدائ فيه بالأقفال والأقرع ما ابتدء فيه بالأبيات[25]. وعند تعريف الموشح ووصفه على أن أوفى ما قيل فيه ما قاله ابن خلدون: " استحدث المتأخرون من الأندلسيين فنا من الشعر سموه بالموشح، وينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا، يكثرون منها، ومن أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما تنتهى عندهم إلى سبعة أبيات. ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد ".[26]

وكان أول من برع في هذا النوع هومقدم (بضم الميم وفتح القاف والدال مع التشديد)القبرى من الشعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني وقد عاش مقدم هذا في صدر الدولة الأموية بالأندلس ثم أخذ عنه ذلك ابن عبد ربه صاحب الكتاب العقد الفريد [27].

وأما في عصر ملوك الطوائف اشهر الوشاحين الأندلسيين فهم: محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة وهوأحد شعراء بلاط المعتمد بن عباد (ت 484هـ/1091م) وأبوبكر الكميت بن الحسن (ت488هـ /1095م) وأبوعامر بن الفرج وزير المأمون بن ذي النون ملك طليطلة.[28]

وقد قدم المؤرخون عبادة الفزاز على سائر الوشاحين في عصر الطوائف وكان عبادة هذا شاعر لمعتصم ابن صمادح، وروي عن أبي بكر ابن زهر الوشاح أنه قال:" كل الوشاحين عيال على عبادة القزار فيما اتفق له "[29]. وعبادة هذا توفي سنة 422هـ.[30]

بدر تم شمس ضحا غصن نقاسمك شم

ما أتم، ما أوضحا ما أورقا ما أنمّ
لا جرم، من لمحا قد عشقا قد حرم [31]

وزعموا أن الذي جاء بعده مصليا هوالوشاح ابن أرفع رأسه، شاعر المأمون ابن ذي النون صاحب طليطلة، وكانت له موشحات مشهورة يغني بها في بلادالمغرب ومنها الموشحة التي ختمها بقوله:

تخطرو ولا تسلم عساك المأمون
مروع الكتائب يحي بن ذي النون[32]

ثم جاء فريق الموشحين في عصر المرابطين، فنهضوا بالموشحات نهضة مباركة وعلى رأسها هؤلاء المؤشحين الأعمى التطيلي (ت520هـ) ثم يحي بن بقي (ت540هـ)من موشحات التطيلي قوله:

كيف السبيل إلى صبري وفي المعالم أشجان
والراكب وسط الفلا بالخرد النواعم قد بان [33]

ومن موشحات ابن بقي قوله:

عبث الشوق بقلبي فاشتكي ألم الوجد فلبت أدمعي
أيها الناس فؤادي شغف وهومن بغي الهوى لا ينصف[34]

واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل بن شرف وابن بهردوس وابن مؤهل الذي يقول:

ما العيد في حلة وطاق وشم طيب وإنما العيد في التلاقي مع الحبيب [35]

وبانقضاء عهد دولة الموحدين مالت شمس التوشيح إلى الغروب وبدأ عهدالأزجال ولعل إمام هذه الفترة من أحدأئمة الزجل والأدب، هولسان الدين بن الخطيب (ت766هـ/1374م)وآخر من عرفت الأندلس من الوشاحين هو الشاعر المعروف بابن زمرك (ت795هـ/1393م).[36]

أشهر الوشاحين أبوبكر بن زهر:

هو أبوبكر محمد بن عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن عبد الملك، وهو سليل أسرة طيبة، ألم منا بها بينالأطباء في الفصل الماضي،ولد سنة 507هـ باشبيلية، وأخذ علم الطب عن أبيه وجده، وانفرد بالامامة في عصره، ويقول ابن الآبار: "إنه كان يحفظ صحيح البخاري أسانيدا ومتونا، وكان له حظ وافر من الآداب واللغة والحفظ لأشعار الجاهلية والمولدين".[37]ويقول صاحب المطرب: "كان بمكان اللغة بمكين، كان يحفظ شعر ذي الرمة وثلث لغة العرب مع معرفة جميع أقوال أهل الطب". وتوفي في آخر سنة 595هـ وصلى عليه السلطان الناصر بن يعقوب ودفن بروضة الأمراء في مراكش. ويقول صاحب المطرب: " إن الذي انفرد به وانقادت إليه طباعه وأصارت النبهاء أتباعه الموشحات ".وقد طار في المغرب والمشرق موشحة:

أيها الساقي إليك المشتكي قد دعوناك وإن لم تسمع
وندیم همت في غرته وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته جذب الزق ليه واتكا
وسقاني أربعا في أربع.[38]

الموشحة من وزن الرمل، وهي تسيل خفة ورقة وعذوبة ورشاقة في نسق من بديع الألفاظ المختارة، وكأنها لا تلاقي فحسب، بل تتعانق آخذا بعضها بتلابيب بعض يقول ابن بسام: "إن المؤشحات تجري أحيانا على أعاريض مهملة أي من أعاريض الشعر العربي كما أسلفنا مرارا لا من أعاريض الشعر الأعجمي الوهمية ". كما ظن (ريبيرا)وتلاميذه. ولابن زهر موشحة ضاغها على طريقة ابن نزار هكذا:

قلبي من الحب غير صاح صاح وإن لحاني على الملاح لاح
وإنما بغية اقتراحي راحني وإن دري قصتي وشاني شاني.[39]

والجزء الأول في الغصن والقفل من مخلع البسيط، والجزء الثاني على زنة فعلن تفعيلية المتدارك وصاح الأولى: مستيقظ، والثانية ترخيم صاحب، واللاهي: العاذل اللائم، شاني الأولى: مخففة من شأني والثاني الم بعض، واستمر ابن زهرفي هذه الموشحة يستخرج الجزء الثاني من الجزء السابق له أويكرره بمعنى جديد، مما يفاجئه قارئه ويدخل عليه غير قليل من المتاع الشعري.[40] وأوضح من كل ما قدمت أن موشحات ابن زهر وابن بقي وابن عبادة القزاز وغيرهم من الوشاحين الأندلسيين تموج بالنعم، وحقا خالفوا بين قوافي الأقفال وقوافي الأغصان،ولكن الأقفال تتحد قوافيها في كل موشحة كما تتحد قوافي الأجزاء في كل غصن.[41] فالقافية لم تهمل في الموشحة إنما تنوعت في الأغصان، وظلت موحدة في أجزاء الأقفال،وكان حريا أن يسقط بذلك شيئ من وفرة الأنغام المعروفة في القصيدة العربية غير أنهم تلافوأ ذلك باختيارهم لموشحاتهم أرشق الألفاظ العربية وأكثرها عذوبة وسلامة وصفاء. وليس ذلك فحسب، فقد قصروا الشطور في أجزاء الأقفال والأغصان، حتى أصبحت أنغام أي موشحة لا تقل عن أنغام القصائد وفرة، بل إنها لتتفوق عليها في كثير من الأحيان بسرعة التدفق والانسياب حتى تصبح روائعها وكأنها من الأنغام تغرق الأذن في خضمه.[42]

ابن عبادة القزاز:

هو أبوعبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز،[43] واشتهربأنه شاعر المعتصم بن صمادح أميرالمرية وله فيه مدائح شعرية وموشحات ويقول:

ولولم أكن عبد الآل صمادح وفي أرضهم أصلي وعيشتي ومولدي
لما كان لى إلا إليهم ترحل وفي ضلهم أمسي وأضحى وأغتدي[44]

ويصفه ابن بسام بقوله عنه:" من مشاهير الأدباء الشعراء وأكثر ما ذكر اسمه وحفظ نظمه في أوزان الموشحات التي كثرت استعمالها عند أهل الأندلس. وهومن نسج على منوال ذلك الطراز ورقم ديباجه ورصع تاجه، وكلامه نازل من المديح، أما ألفاظه في التوشيح فشاهدة له بالتبذير والشفوف.قوله ابن قزمان:

يا جوهر الجلال يا فخر الأندلس طول ما نكن بجاهك لس نشتكي بؤس [45]

الفرق بين الموشحات والأزجال:

الفرق بين الموشحة والزجل أن الموشحة باللغة الفصحى إلا قليلا،أما الزجل فهوباللغة الدارجة.[46]

تأثير وتأثر المؤشحات والأزجال في الأدب الأندلسي:

ابتكر الأندلسيون من موشحات والأزجال في أوربا.وهذا يضاف إلى تأثير الأندلسيين في المغرب، وقد دعاهم إلى ذلك ما أحسومن نقل القيود في الشعر الفصيح من أوزان ووحدة قافية وقيود إعراب. فجاءت نوبة هاجوا فيها على هذه الأوزاع. كما هاج أبونواس على بكاء الأطلال، وكماهاج الموحدون على التقليد في الفقه والنحووغيرذلك.[47]

وتبعه بعد كثيرون من الزجالين وليست الأزجال إلا الموشحات تقال بلغة عامية،وإنما كثرنا من نمازج الموشحات والأزجال لبيان كثرة أشكالها واختلاف أوزانها. يقول ابن مدغليس في الروقية:

ثلاث أشياء في البساتين لم تجد في كل موضع

النسيم والخضر والطير شم وانتزه اسمع.[49]

مفهوم الزجل:

الزجل "هواختلاط الصوت الذي لصوته تطريب".[50]

وقال الدكتور إحسان عباس في تاريخ النقد الأدبي عند العرب: الأزجال هي معان شعرية بألفاظ عامية لإفهام الجهال ".[51]

وقال محمود مصطفي:"الزجل لغة الصوت،وقد سمي هذا الفن زجلا لترجيح الصوت به في الإنشاد".[52]

أول من اخترعه رجل يقال له راشد، ولكن لم تظهر محاسنه الاكثار من أنواعه ونظمه من كل غرض، إلا في دولة المللثمين على يد أبي بكر قزمان القرطبي

(ت555هـ)وهو إمام الزجالين على الإطلاق واشتهرت أزجاله ببغداد أكثر اشتهارها بحواضر المغرب.[53]

وأكبر زجال في الجيل التالي قزمان هوأحمد بن الحاج المشهور باسم مدغليس وهومن أهل المرية، وله أزجال كثيرة في مديح الأمراء والقواد. [54]

ويقول المقرئ في نفح الطيب:"كان أهل الأندلس يقولون ان قومان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء ومدغليس بمنزلة أبي تمام بالنظر إلى الانطباع والصناعة فابن قزمان ملتفت إلى المعنى ومدغليس ملتفت للفظ.[55]

ومن أمثلة الزجل من ابن قزمان، وقد خرج إلى منتزه مع بعض أصحابه فجلسوا تحت عريش وأمامهم تمثال أسد من رخام يصب الماء من فيه على صفائح من الحجر مدرجة:

وعريش قام على دكان بحال رواق
وأسد قد ابتلع ثعبان من غلظ ساق
وفتح فمه بحال إنسان بيت الفراق
وانطلق من ثم على الصفاح وألقي الصبياح.

ومن قول مدغليس في زجله المشهور:

ورزا ذدق ينزل وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفيض وترى الآخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر والغصون ترقص وتطرب
وتريد تجيئي إلينا ثم تستحي وتهرب.

لقد كان الزجل في أول نشأته مقصورا في الغزل وخلع العذار واللهو، ثم أصبحت قصائده تعالج الوصف والفخر والزهد والرثاء والهجاء والمديح ومن الطريف أن قصيدة الزجل في المديح كانت ترسم على منوال القصيدة الشعرية الفصيحة فتستفتح بالنسيب أوذكر الخمر ثم تخلص بعد ذلك إلى المديح. يقول ابن مدغليس في روضته الرقيقة:

ثلاث اشياء في البساتين لس تجد في كل موضع
النسيم والخضرة والطير شم وإنتزه واسمع
قم ترى النسيم يولول والطيور عله تغرد

ملخص البحث:

الدولة الأندلسية كان قد فتحها المسلمون آواخر الأول الهجري وأوائل القرن الثامن الميلادي وأنشاؤا بها دولة متطورة من كل النواحي آنذاك. ويتناول تاريخها السياسي منذ فتحها العربي لديارها سنة 92هـ/711م إلى خروجهم منها سنة 897هـ /1492م.

وكان المجتمع الأندلسي آنذاك يتكون من عناصر شتى فقد كان فيه أهل البلاد الأندلسييون وفيه الوافدون من العرب وبربر وموال، وعرفت أرض الأندلس منذ قديم بالتفسير والحديث والفقه والأدب والعلوم فنشأ بها كبار المفسرين والمحدثين والفقهاء والقضضاة والخطباء وما إلى ذلك وهم يعدون بالمئات.

أما الأدب العربي فقد انتقل من المشرق إلى المغرب وتأثر كتاب الأندلس والشعراء بأساليب شعراء العرب في المشرق وشاع الشعر العربي في الأندلس على نطاق واسع وانتشر في جميع الطبقات وتناول الأندلسيون في الشعر جميع الموضوعات التي تناولها المشارقة من مدح ورثاء وغزل وخمر وصف وحماسة وفخر وهجاء وزهد وحكمة إلا أنهم بذلومعظم جهودهم إلى الوصف واستطاعت الأندلس في أثناء هذا النشاط الشعري الواسع أن تنفذ إلى ابتكار في الشعر الحديث هوفن الموشحات والزجل. وكان أول من برع في هذا الجنس الشعري هومقدم بن معافي.

أما النثر فهوأيضا ينسج على منوال النثر المشرقي وكبار كتاب النثر في الأندلس هم فحول شعراءنا ايضا من أمثال ابن زيدون وابن شهيد وابن حزم وأبي حفص وابن برد وابن دراج القسطلي ولسان الدين بن الخطيب وأبوعلى القالي.

ومن النثر ابتكروا في المقامة فهي قصة وجيزة أوحكاية قصيرة مبنية على الكدية ويتضح من المصادر أن المقامات كانت معروفة قبل بديع الزمان،وقد تأثر الأندلسيون بمقامات الهمذاني والحريري تأثرا جليلا.

مما لا شك فيه أنه كانت للمجالس الأدبية تأثير واضح في تنوع صور الإنتاج الأدبي الأندلسي منه بطبيعة الحال النثر الفني.

فبدأ الدور الأموي عام الفتح الميلادية عام سبعة مائة واحدى عشرة بعد الفتح جاء العلماء والأدباء من العرب المشارقة إلى الأندلس بالإسلام وأثروا في عقائدهم ولغتهم وآدابهم. فتحولت به ظروف أهل الأندلس إلى الأحسن بكثير. واعتنقوا بالاسلام أفواجا فاتخذوا اللغة العربية كلغتهم الأم وأنشأوا بذلك دولة كبرى التي تمتد تاريخها منذ فتح العرب لديارها سنة 92هـ/711م حتى خروجهم منها سنة 897هـ/1492م.

ومن الطبيعي أن من أسلم من أهل الأندلس أقبل على تعلم العربية حتى أن يحسنوا تأدية شعائر الاسلام وتلاوة القرآن الكريم الذي يعد جزء لا يتجزء من الاسلام وشجعوا أبنائهم إلى تعلمها،كما أن عددا كبيرامن أهل الأندلس تعربوا تعريبا كاملا حيث ظل بعضهم يتكلمون اللغة الرومية. بلهجة لا طينية عامية في تخاطبهم اليومي. غير أنهم شعروا سريعا أنها لغة مجدبة فقيرة وخاصة حين يقارنها باللغة العربية إذا ليس لها تراث أدبي وثقافي وحضاري كاللغة العربية.

وكانت قرطبة في القرن العاشر الميلادي أكثر المدن الأوربية ثقافة وحضارة وبلغ من سموشأنها العلمي بأن الحكام من أمثال ليون ونبارة وبرشلونة كانوا يقصدون إليها كلما احتاجوا إلى جراح طبيب أومهندس أوخبير أوفنان ومطرب كبير.

انتشر النثر العربي المشرقي في الأندلس بجهد أدباء الأندلس لأن المجالس الأدبية كانت عاملا قويا وكبيرا في انتشار هذا الفن الأدبي.

انتشر النثر العربي المشرقي في الأندلس بجهد أدباء الأندلس لأن المجالس الأدبية كانت عاملا قويا وكبيرا في انتشار هذا الفن الأدبي.

وقامت الدولة الأموية بعناية جبارة للقيام بالمجالس الأدبية في جميع مدن الأندلس كان عبد الرحمن الداخل هوزعيم لهذه الحركة الأدبية. ومن تاثير تلك المجالس في النثر والنظم كما ياتي:

مجالس الموشحات والأزجال:

الموشحات فن أنيق من فنون الشعر العربي اتخذه العرب قوالب بعينها في نطاق تعدد الأوزان الشعرية،وكان ظهوره في نطاق إطاره من هذا بأرض الأندلس. وقد احتضنت الموشحات جميع فنون الشعر وأغراضه بحيث أن النقاد لقد عدوها من الفنون الشعرية السبعة التي حصرها الأبشيهي في الشعر القريض والموشح والدوبيت والزحل والمواليا والكان كان والقوما. أما لغة الموشحات هي العربية الفصحى إلا قليلا وأما الزجل فهوينظم باللغة العامية.

الموضوعات في الموشح: الرثاء والخمر والغزل.

ابتكر أهل الأندلس شعر الموشحات والأزجال في أوربا. قد دعاهم إلى ذلك ما أحسوا من ثقل القيود في الشعر الفصيح من أوزان وحدة قافية وقيود وإعراب. من شعرآء الموشحات في الأندلس هم: ابن زهر وزرياب والمؤصلي وغيرهم.

المجالس الأدبية وأثرها في النثر الأندلسي:

أثرت المجالس في الأوساط الثقافية وعززها الحكام وقاموا بإنشاء المعاهد التربوية والعلمية في المدن والقرى وشجعوا على نقل ما صنف في الشرق العباسي من علوم وفنون فنشروها في الأندلس.وقد أثرت هذه المجالس في اللغة العربية أثرا كبيرا.إن الاسلام عندما انتشر في افريقيا فمن الطبيعي أن ينتشر باللغة التي جاءبها. وإن كان للتجارة دور خاص في هذا المجال.الا أن الإسلام له دور كبير في انتشار اللغة العربية حيث صارت العربية تلازم مع الإسلام فحلت معه أينما

حل فكان للهجرات العربية إلى أفريقيادور في نشر اللغة العربية. إن العربية هي أقوى القوى التي قاومت الاستعمارالفرنسي في المغرب،خاصة اللغة العربية الفصحىلأنها لغة الدين والثقافة والحضارة.

لقد تأثر النثر الأندلسي من النثر العربي في المشرق وينسج على منواله ويسير ويجري في مضماره. وكان في الأندلس كما كان في المشرق عدد كبير من الكتاب المديدين الذين راق أسلوبهم وراقت لهجاتهم وأمسكوا من الكتابة بخير زمام وملكوا منها سليقة أدبية من الاتقان وضروب البيان غير أن الأمر الذي يأخذ إلى الدهشة هوأن كبار كتاب الأندلس في نثرهم أنفسهم كبار شعراءها المرموقين من أمثال ابن زيدون وابن شهيد وابن حزم وأبي حفص بن برد وابن دراج القسطلي ولسان الدين بن خطيب وغيرهم.

وفي الختام ندعوالله تعالى أن يرزقنا حسن القبول وسلامةالدّين في الدنياوعفوه وغفرانه في الآخرة إنه نِعْمَ الْمَوْلى و نِعْمَ النَّصِيْر.

*_*_*

الهوامش والمراجع

1- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، دار المعارف مصر 1998،ص:211.

2- ابن عذاري،أبوالعباس أحمد بن محمد: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تحقيق: بروكلمان وبروفنسال،1951م،:44/1.

3- عمر فروخ،عمر بن عبد الله (ت1906م/1987م):تاريخ الأدب العربي، دار صادر بيروت: 1979م،144/4،الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط:15، 2002م، 148/3-

4- عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي: 145/4.

5- شوقي ضيف: عصر الدول والامارات: 217/7.

6- شوقي ضيف:عصرالدوّل والإمارات:212/7.

7- ابن عذاريك البيان المغرب: 203/1.المقري: نفح:558/3.

8- العواليك الرماح، ومعافر بفتح الميم: قبيلة بن أبي عامر وهي يمنية، راجع ابن الآبار: الحلة والسيراء،د.حسين،مؤنس دار الكتب العربي،1963م:72/1.

9- ابن شهيد: ديوان ابن شهيد،تحقيق يعقوب زكي رقم القصيدة 57359، ص: 163.

10- ابن بسام،أبوالحسن علي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، 1978م، ص: 173.شعر ابن الحزم.

11- ابن الآبار: الحلة السيراء تحقيق: د حسين مؤنس دار الكتاب العربي بيروت، 1963م 44/2، المعتمد بن عباد: الديوان، رقم القصيدة: 14269.

12- ابن سعيد المغربي: (ت685هـ/1385م)المغرب في حلي المغرب دار المعارف 1999م:108/2

13- ابن خفاجة: ديوان ابن خفاجة،دار الكتب العربي بيروت ص: 346.

14- شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، ص: 216.

15- الحميدي، أبوعبد الله محمد: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م، ص: 213.

16- الضبي، أحمد بن يحي: بغية الملتمس، بيروت ك دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1417هـ /1997م، ص: 293.
17- ابن الآبار: الحلة السيراء ك 154/1.
18- ابن عذاري: البيان المغرب: 309/3.
19- ابن دحية، أبوالخطاب عمر بن حسن: المطرب من أشعار أهل المغرب، المطبعة الأميرة القاهرة، 1954م، ص: 39.
20- الحجي: التاريخ الأندلسي، المطبعة الأميرة القاهرة، 1954م ص: 548.
21- عنان: محمد عبد الله، (ت 1898م/1986م)دولة الاسلام في الأندلس، القاهرة: مطبعة المدني، ط4،1417هـ.ص 94.
22- شوقي ضيف عصر الدول الإمارات، ص: 232.
23- الأبشيهي: محمد بن أحمد (الشهاب الدين) المستطرف في كل فن مستظرف تحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 21986م:448/2-
24- ابن منظو، محمد بن مكرم الافريقي: لسان العرب، دار صادر بيروت1300هـ:232/2.
25- مرسي، شعبان محمد:محاضرات في الفنون الأدبيّةبالأندلس،دار الهانئ الأندلس 2000م، ص: 15.
26- ابن خلدون: ابن خلدون،بيروت: دار ابن حزم، 1424هـ ص:583.
27- حسن: الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة مصر،1967م.:496/4.
28- عاصي،:الشعر في الأندلس، المكتب البخاري، الطبعة الأولى، 1970م ص:08.
29- إحسان عباس: الأدب الأند لسي عصر الطوائف والمرَابِطِيْن، دارالشرق عمان، 1997م،، ص:232.
30- مصطفى الصّادق الرافعي: تاريخ الآداب العربية، دار الكتب بيروت،الطعبة الأولى، 1421هـ /2000م: 12/3.
31- ابن خلدون: مقدمه ابن خلدون، ص: 383/1،سيد غازي: ديوان الموشحات الأندليسية :الإسكندرية نشاة المعارف 1979 ،164/1.
32- إحسان عباس: الأَنْدَلُس عصر الطوائفوالمرَابِطِيْن، ص:362.
33- حسن إبراهيم حسن: الأدب الإسلامي: 496/4.

34- المقري ، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأَنْدَلُس: تح الدكتور إحسان عباس، دارصادر1968م،236/4.

35- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص585.

36- عاصي،مشال: الشعر في الأندلس، ص:109.

37- ابن دحة: المطرب، ص:203.

38- الحموي، يقوب: معجم الأدباء، دارإحياء التراث العربي بيروت، الطبعةالثالثة، 1980م ص: 256،ابن زهر الحفيد: الديوان،ص:345.

39- الحموي: معجم الأدباء:656/18،ابن سنا الملك:دارالطراز، تحقيق د.جودت الركابي،ص:100.

40- وجدي:دائرة المعارف: دارالكتاب العلمي:185/1

41- شوقي:عصرالدّول والإمارات، ص:162.

42- الحموي:معجم الأدباء:656/18، ابن خلكان:أحمد بن محمد،(ت681هـ/1282م) الوفيات تح: إحسان عباس، دار صادر، 1998م534/3.

43- المقري:أزهار:252/2.

44- ابن عُبادة القزّاز:القلائد للفتح بن خاقان، مكتبة المنار الأردن 1989،ص:14.

45- شوقي:عصرالدّول والإمارات،ص:155. إحسان عباس:تأريخ الأدب الأندلسي،ص: 71.

46- أحمد:ظهرالإسلام،دارالكتاب العربي، بيروت 1969م،ص:198.

47- عبدالأهواني: الزَّجل في الأندلس ص:203.

48- أحمد: ظهرالإسلام، ص:201.

49- ابن سعيد المغربي:المغرب: 22/2،الشكعة،مصطفى:الأدب الأندلسي، دار العلم للملايين بيروت 2008،ص:5 4.

50- المبرد: (ت286هـ)الكامل في اللغة، القاهرة: دار الفكر العربي، ط3، 1997م:46/4.

51- إحسان عباس: النقد الأدبي عند العرب،ص:518.

52- محمود مصطفٰى: الأدب العربي،مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 2، 1356هـ: 107/3.

53- نفس المصدر وصفحه.

54- شوقي ضيف: عصرالدّول والإمارات: 165/7.

55- المقري: نفح:385/3.